

## مناورات مخططة لمقاومة قرار الحرب !

**سعد الشاذلى يقول : الضباط والجنود يمزقون المقالات**

**الانهزامية ويدوسونها بأقدامهم**

**الرئيس : يرد على كل مناورات دعوة الهزيمة بعبارة واحدة**

**السادات يقول : كل هذا كلام فارغ**

خرج الفريق صادق فى 26 أكتوبر 1972 . عزل الرئيس عددا آخر من الضباط الذين كانوا يشككون مع صادق فى إمكانية الحرب . تولى أحمد إسماعيل وزارة الحربية ، وسعد الشاذلى رئاسة الأركان . لم ينم الرئيس السادات ليلية واحدة منذ عزل صادق .. حتى يوم 30 نوفمبر . فى هذا اليوم أبلغ الفريق أحمد إسماعيل ، الرئيس بأنه أكمل تغطية الخطة الدفاعية 200 ، نعم لم ينم . فقد كانت جبهتنا مكشوفة تماما وكنا معرضين لضربة مسرحية من إسرائيل ، تقضى على كل شىء . وبدأ على الفور الأعداد للهجوم بعد إكمال الخطة الدفاعية . بما يسمى فى التعبير العسكرى ، تحضيرات الهجوم .. وكان تكليف الرئيس للفريق أحمد إسماعيل أن يكون جاهزا ابتداء من أول يناير سنة 1973 . وفى هذه الأجواء .. أجواء الاستعداد الكامل ليل نهار للحرب ، كانت أصوات الحناجر العنترية ، تتهم الرئيس السادات بأنه يناور ويسوف وأنه يسعى لحلول الاستسلام وكانت أبواق إسرائيل . تؤكد فى تصريحات رسمية تكاد أن تكون يومية ، أن مصر أصبحت غير قادرة على الحرب بعد خروج السوفييت ، وأن جيش مصر سيتعرض للفناء الكامل إذا فكر فى العبور ، وأن كيان مصر ليس إلا جثة ستبقى بلا حراك خمسين عاما على الأقل . .. وإذا بهيكل ينشر سلسلة مقالات ، بعنوان (( رحلة إلى عصر جديد )) ، ليؤكد أن الحرب مستحيلة على جيش مصر .. وبذلك يتأكد

لدى الجميع ، أن ما يروجه المتهمون على مصر ، صحيح وأن الحرب النفسية التي تشنها إسرائيل بلا هوادة تعتمد على معلومات صحيحة . وما دامت الحرب مستحيلة فليس أمام مصر إلا الاستسلام كتب ست مقالات من 24 نوفمبر حتى 22 ديسمبر 1972 وقال راديو ليبيا بعد ذلك أن ثورة الفاتح لن تنكر جميل هيكل ، فهو الكاتب المبدع الذى يقول كلمته بصراحة فى عهد عبد الناصر أو عهد السادات ! وقالت مقالات هيكل على التوالى .. ..

- أننا نؤدى دورنا فى اللعبة : طاولة .. ضربات حظ تصيب بالصدفة وفى معظم الأحيان تخيب . والأعداء يؤدون دورهم فى اللعبة : شطرنج .. حركات عقل وفقا لقوانين .
- أن مصر لا تستطيع أن تنتظر ، وإلا تأكلت ، والذين لا يخاطرون بشيء لا يحصلون على شيء .. ولكن مصر بوضعها الراهن مكبلة بالقيود ، معزولة عن ممارسة دورها العربى وهذه كارثة بغير حدود .
- ظاهرة الرفض فى العالم العربى لها أسبابها . ومنها أن الهدف غير واضح والوسائل لتحقيقه غير محددة ومنها أن السلطة تتحدث عن الشعب ولا تعيش معه ، وأشباح الفوضى تهددنا فى عالم يحكمه النظام .
- عرض بالتفصيل وبالأرقام المخيفة لقوة إسرائيل العسكرية ، وقال أن هذا التحدى أكبر من قوتنا منفردة . ولا سبيل للمواجهة الواجبة إلا بتجميع طاقات الأمة العربية أو أكبر جزء منها .
- ليس من المعقول أن نمسك بعصا ونتصورها قنبلة ذرية .. لأن المصالح الأمريكية فى الدول العربية مصنونة والحل خطر خارج إطار عربى . والحرب خطأ خارج الإطار العربى . والضغط وهم خارج الإطار العربى . والعمل العربى المشترك ممكن .
- ولكن العمل العربى ممكن فى حالة واحدة فقط .. إذا كانت مصر تعرف وإذا كانت مصر تريد .
- ضرب أمثلة على نجاح العمل العربى فى عهد عبد الناصر .. وأنتهى بأن مؤتمر الكويت الأخير ( فى عهد السادات ) قد فشل لأن مصر لم تعطه

استراتيجية عمل واضحة ، وكل ما حملته مصر إلى المؤتمر هو طلب الحل من الآخرين . ودور مصر هو أن تضع الخطة ولا تتركها للمشايخ والسلاطين

- أما الرؤية الاستراتيجية الصحيحة ، فقد كانت رؤية جمال عبد الناصر ..
- وقال أن الحلول تحتاج إلى زعامات مثل تشرشل وديجول وعبد الناصر

طلعت هذه المقالات على الجماهير .. وكأنها قطع من الثلج البارد على الصدور الحائرة المنتظرة بكل الصبر لساعة الخلاص . وكتب إحسان عبد القدوس أنه خير لنا أن ندخل المعركة ونهزم من أن نبقى ساكتين . نهزم مرة واثنين وعشرا أشرف لنا لأننا قادرين على التحمل . وهاجم عبد الرحمن الشرقاوي في مقال ملتهب دعوة هيكل الصريحة إلى الياس بعنوان ((المؤامرة وشرف الكلمة)) قال فيه أن هيكل يخون كل ما للكلمة من جلال وشرف . وأن يقظتنا ستقضى على المؤامرة . وكتبت مقالين الأول بعنوان (( المبشرون بالهزيمة .. ماذا يريدون لنا .. ماذا يريدون بنا ؟ )) والثاني (( المبشرون بالهزيمة .. أية رحلة يقصدون ، وبأى عصر جديد يحلمون ؟ )) . وأذكر أن الفريق سعد الشاذلي – رئيس أركان حرب القوات المسلحة حينئذ – أتصل بي على غير تعارف سابق وقال في حماسة : أن ما كتبتة يعبر عن رأى القوات المسلحة .. وأن مقالات هيكل يمزقها الجنود والضباط ويدوسونها بأقدامهم .. وفي نفس المعنى تحدث معي ضباط عديدون برتب مختلفة لا أعرفهم ..

### العلاق المشلول

وتضاعفت ضجت الصدى لدعوة الانهزامية والتئيب في مقالات هيكل ، وأتصل به الرئيس السادات وسأله غاضبا ما هذا الذى تكتبه يا هيكل ؟ .. ورد هيكل: يعنى عايب سيادتك مقال إحسان . وقال الرئيس : طبعا . مقال ممتاز . وفى الصميم . وأستخدم الرئيس التعبير الإنجليزى To the point وقال الرئيس لهيكل: أنت تعلم عنى هذا . وقد قلت لك مرارا . أنه أشرف لى ألف مرة أن أخوض معركة وأخسرها من أن أسمح باستمرار حالة الموت البطيء .. وأقدم هذا الموت للأجيال القادمة .. وكان الرئيس السادات يشبه العرب بعلاق كبير مشلول

ونائم والناس كلها تترحم عليه .. مع أن دواءه موجود . ولو أخذ الدواء ، لاستيقظ عملاقا من جديد والدواء هو المعركة . وفي المناسبات التي لقي فيها هيكل الرئيس السادات .. أو تحدث إليه ، كان دائما يتحدث عن الضابط الإسرائيلي بأنه معجزة العصر في الحروب . وكان يردد أن كل ضابط يهودى درس الشئون الإدارية فى أمريكا .. وأنه لا وجه للمقارنة بين الضابط الإسرائيلى المعجزة .. والضابط المصرى . وكان رد الرئيس القاطع : — هذا كلام فارغ .. وقال الرئيس فى اجتماع المجلس الأعلى للقوات المسلحة أنه يتخذ قرار الحرب ، وهو مؤمن أيمانا كاملا برجولة المقاتل المصرى . وبسالته ، وقدرته على السلاح .. المقاتل المصرى الذى ظلموه فى 67 وكان ضحية القيادات . وكان الرئيس يضرب المثل دائما بالجندى المصرى ، الذى لم يترك مدفعه فى حرب الاستنزاف .. حتى تحول جسده إلى رماد مع حديد المدفع المنصهر .. هذا المقاتل سوف ينتصر . أنه نفس المقاتل البطل ، الذى قاد معركة رأس العش بعد أيام من الهزيمة . وأبعده الرئيس مرة أخرى بعدم إعطائه فرصة لقاء أو حديث .

## لم يحدث ؟ !

وحدث أن زار محمود أبو وافية عضو مجلس الشعب صحيفة الأهرام ، مع مجموعة من الشباب الوطنى فى الجامعة أرادوا أن يناقشوا هيكل .. وبعد انتهاء النقاش أنتحى به هيكل جانبا وأمسك بصحيفة الأخبار ، وأشار إلى بيان عسكرى منشور فى الصفحة الأولى عن إسقاطنا لإحدى طائرات العدو .. وقال هيكل لأبو وافية : هذا خبر كاذب . ولذلك لم أنشره .. لأنه يخدع الشعب ويصور له أننا قادرون على الحرب . ثم قال : وقد سمعت أن الرئيس أعد خطة العبور والوصول إلى الممرات وأحب أن أقول لك أنه مجرد أن تبدأ القوات المصرية فى العبور ، ستتحول مصر كلها إلى خراب كامل .. لن يترك فيها شبرا واحدا ! .. وستصل قوات إسرائيل بعد ساعات إلى قلب القاهرة . ورد أبو وافية : هذا كلام خطير جدا ، وخاصة أنك صحفى كبير ، ومعروف عنك أنك على علم بالحقائق .. ولماذا تقول لى أنا هذا الكلام ..

هيكل لأن لك صلة بالرئيس ..

أبو وافييه : سأبلغ السيد الرئيس ما قلت ..

هيكل : هذا حقك ..

ولم يتمكن محمود أبو وافييه من الاتصال بالرئيس إلا فى ساعة متأخرة من الليل .. وأبلغه بكل ما سمعه من هيكل . وقال الرئيس : هذا كلام فارغ . وإسقاط الطائرة الإسرائيلية خبر صحيح . وهذه المعلومات هى تصور الفريق صادق لنتائج المعركة التى هرب أمام قرارها . ز وعزلته .

### خيار من ثلاثة

ثم جاءت المسيرة الليبية .. وكان موقفنا منها واضحا ، لأن الهدف منها كان واضحا لنا .. وكان هيكل فى باريس فى ذلك الوقت ، وطلب من القائم بأعمال السفارة المصرية أن يجتمع برؤساء البعثات المصرية . وتم الاجتماع وأخذ هيكل يجرح فى موقف الرئيس السادات من المسيرة ، ويدافع عن أهدافها ! .. وشعر الدكتور مصطفى كمال حلمى ممثل مصر فى اليونسكو ( وزير التربية والتعليم الآن ) بمرارة عنيفة ، وقال لهيكل : لقد كان العقيد فى مصر .. وأجتمع بكل الهيئات .. وعقد الندوات فى الصحف .. وقالت مصر كلمتها بكل ديمقراطية .. وسخر هيكل من هذا التعليق : ديمقراطية ؟ .. وهل لدينا ديمقراطية ؟ .. ولماذا الديمقراطية فقط فى مناقشة موضوع ليبيا . مصر لن تستطيع الحياة والتطور من غير أموال ليبيا ! ثم تضاعفت تجريح هيكل لموقف مصر فى مؤتمر صحفى أيضا ، سعى إلى عقده . وحاول الطالب المصرى الذى كان يترجم له من العربية إلى الفرنسية ، أن يخفف من العبارات . ولكن هيكل أستوقفه وقال له أنه يقصد كل حرف يقوله : وعاد إلى القاهرة .. وكان الرئيس قد تلقى كل هذه التفاصيل من سفارتنا .. وأستقر رأى الرئيس بعد كل هذه الفرص التى أعطاها له .. وبعد أن واجهه وأستمع إلى دفاعه وتبريراته ونفيه الكامل فى كل مرة ، وتأكيده للولاء ! .. أستقر رأى الرئيس على عزله . فالموقف لا يتحمل البلبلة والتشكيك ونحن نقرب من ساعة الصفر .. كما لا يحتمل التشهير فى عاصمة أوربية تساند صحافتها إسرائيل . وسعى هيكل إلى مقابلة الرئيس بأكثر من وسيلة . وأخيرا قبل الرئيس . كان ذلك فى أغسطس .. وفى استراحة المعمورة . وواجه الرئيس بكل

شيء كعادته .. وأنكر هيكل كعادته .. وزعم أن كلماته فى المؤتمر الصحفى نقلتها وكالات الأنباء مبتورة ومشوهة .. وعلى الرغم من وثوق الرئيس ، من صحة كل ما تلقاه .. فقد كان الرئيس متخذا فعلا لقرار المعركة .. وكان يعترم إعادة كل الصحفيين الذين نقلهم إلى هيئة الاستعلامات .. ورأى أن عزل هيكل فى ذلك الوقت سيكون شيئا شاذا . وكانت المعركة هى ما يشغل الرئيس ليل نهار وقال له السادات فى النهاية وبوضوح وحزم : — يا هيكل سندخل المعركة التى شككت فيها .. وأمامك خيار من ثلاثة :

- أما أن تعمل صحفيا ملتزما بالمعركة . غير مشكك فى نتائج القتال .. وفى هذه الحالة تبقى فى الأهرام .
- وأما أن تعين فى وظيفة رسمية .. إذا كنت تريد الاشتغال بالسياسة .
- وإذا لم يكن واحد من الخيارين .. فأحيلك إلى المعاش لأن المعركة فوق كل اعتبار ، وفوق كل شخص .

وأختار هيكل العرض الأول وأكد التزامه . وقال أنه سعيد جدا لأن الرئيس صارحه بكل شيء وواجهه بكل شيء وسمع دفاعه . وعاد هيكل إلى القاهرة وعقد اجتماعا فى الأهرام . وأعلن بوضوح كامل ، قطعا للشك باليقين أنه ملتزم بالنظام .. وهذا يعنى أنه ملتزم بمبادئ وسياسة واستراتيجية أنور السادات عن اقتناع كامل . وأى كلام يسمع غير هذا فهو غير صحيح تماما . أن تأكيد الرئيس الحازم القاطع ، أنه مقبل على المعركة أعاد إلى هيكل التوازن الطبيعى ليست هى أذن غارقة ، كما تصور من قبل ، وكما تصور حواريون فى قسم الدراسات والسادات أذن ، لم يتأثر بكلمة واحدة ، مما قيلت له عن الضابط الإسرائيلى المعجزة .. وعن قدرة الجيش الإسرائيلى على احتلال القاهرة فى ساعات وعندما تصور هيكل أنها غارقة .. وضع حساباته على أساس تصوره ، حاول أن يقنع الرئيس السادات ، بأن الحل والإنقاذ ، هو أن يستمع إلى آراء قسم الدراسات والأبحاث فهم الصفوة المثقفة فى مصر القادرة على اتخاذ القرار الصحيح !! واستهجن الرئيس هذه الفكرة .. وكان يسميهم بمجلس الحكماء .. وقال الرئيس أنه يستلهم نبضه من أنين الشارع المصرى .. من وعى القاعدة العريضة .. وأنه لا

يسمح بحكم الصفوة المختارة أن يسيطر عليه .. وكانت هذه آخر محاولة لهيكل للسيطرة على قرارات الرئيس السادات . وعرف تماما أن السادات رجل آخر .

## تأنيب الضمير

وبدأت الحرب .. وطلب هيكل موعدا للقاء الرئيس فى قصر الطاهرة ، حيث أتخذ الرئيس مقره خلال فترة الحرب . وكان واضحا ، أنه شعر بتأنيب الضمير .. والانتصارات المكتسحة تتوالى ! وأبدى هيكل استعداداه للعمل بكل طاقاته ، للإعلام عن القتال . وكلفه الرئيس فعلا ، بأعمال إعلامية مع الدكتور عبد القادر حاتم نائب رئيس الوزراء ووزير الإعلام .. ومع الدكتور أشرف غربال المستشار الصحفى للرئيس . .. والرئيس يدعو دائما ، أن تعطى كل الطاقات جهدها من أجل مصر . ثم جاءت حكاية الثغرة . ؟ وإذا بمحمد حسنين هيكل ، يعود كما كان ! بل أسوأ مما كان .. لقد تصور أننا أنهزمتنا وأراد أن يلحق نفسه بأخذ موقف ! وإذا به يكتب عن الثغرة وكأنها الهزيمة ! .. ونشر خريطة كبيرة مع المقال ، بطريقة خاطئة وكان يكفى للقارىء أن ينظر إلى الخريطة ، فيتصور للتو ، وكأن كل أنتصار قد ضاع ! وكتب فى المقال ، أن خط الجبهة بدل أن كان القنطرة – القنيطرة ، قد أصبح الأدبية ( عند السويس ) وسعسع ( التى انسحب إليها الجيش السورى بجوار دمشق ) .. وكان يردد فى الأهرام أن الجيب تحول إلى (( كرش )) . واستدعاه الرئيس السادات وعنفه : – أنت تعابير القوات المسلحة هل ما كتبته ونشرته هو التصوير الحقيقى الأمين للثغرة ؟ .. هل التسلل من ثغرة ستة كيلو مترات ونصف بين جيشين هو الانهيار والهزيمة ! .. أقرأ يا أذى ما تقوله صحف الغرب الموالية لإسرائيل عن هذا الجيب .. أقرأ ما يقوله قادة جيش إسرائيل أنفسهم عن تصرف شارون . وفى ذلك الوقت نشرت صحف الغرب ، وفى مقدمتها تايم ونيوزويك ، التحقيقات الصحفية عما يعانىه جنود إسرائيل فى الثغرة . وعن الخسائر الضخمة التى لحقت بإسرائيل .. وكيف أن الجنود الإسرائيليين بعد وقف النار ، واستمرار القوات المصرية لمدة 70 يوما فى حرب استنزاف لا ترحم .. كانوا يصرخون : يا مصريين حرام عليكم . إحنا عاو زين نرجع إسرائيل .. وكان الطلبة منهم يصيحون يا مصريين كفاية ضرب ..

إحنا بنذاكر علشان نرجع الجامعة .. بل جاء الجنرال بوفر رئيس أكاديمية الدراسات العسكرية الفرنسية إلى مصر بدعوة من (( الأهرام )) وأستقبله الرئيس السادات ، وقال بحضور هيكل ، أنها معركة تليفزيونية ، للدعاية ، وأنها استراتيجية لا أساس لها .. لأنها تسلل بين قوات . وهذه ألف باء العلم العسكرى ونشر (( الأهرام )) هذا الكلام ! وقبل ذلك أندھش الرئيس لموقف هيكل ، من الأستاذين توفيق الحكيم ونجيب محفوظ . لقد كتب توفيق الحكيم مقالا رائعا بعنوان (( عبرنا الهزيمة )) بعد بدء القتال . كما كتب نجيب محفوظ مقالا ممتاز عن مشاعره كمصرى .. وأعجب الرئيس بالمقالين . وإذا بهيكل يقول للرئيس : أن الحكيم ونجيب محفوظ قالوا له أنهما كتبا ما كتبا ، ولكنهما فى الوقت نفسه مقتنعان بأننا سنهزم شر هزيمة ! ولكن هيكل أخطأ أيضا حساباته . لقد تصور منذ أختار فرض الالتزام بالمعركة فى أغسطس .. وإعلانه ذلك فى اجتماع بالأهرام .. أن الرئيس السادات بعد هذه الجولة الطويلة ، ربما يعدل ، من أسلوبه كحاكم . وأن تكليفه ببعض الأعمال الإعلامية خلال فترة الحرب ، ربما كان مقدمة لأبواب تفتح له ، لكى يعود إلى موقعه القديم فى حياة عبد الناصر ، شريكا فى الحكم وإصدار القرار !

### إسماعيل فهمى يقول :

ولكن جاءت مباحثات كيسنجر فى أسوان ، وإذا به يجد نفسه بعيدا تماما ، ولم يظفر بأية معلومة خاصة ، أو أى وضع خاص .. عن باقى رؤساء التحرير ! ولعله كان مقدرًا أنه يجب أن يشترك فى المباحثات . ولم يعرف عن هذه المباحثات بأكثر مما عرفه كل رؤساء التحرير ، وقد دعى كواحد منهم ، إلى اجتماع عقده الرئيس السادات فى أسوان ، شرح فيه كل عناصر اتفاق فض الاشتباك الأول ! وسيطر عليه الداء القديم . وكتب مقالين فى (( الأهرام )) .. يقول فيهما أننا أعطينا ولم نأخذ . وسأل الصحفيون الأجانب فى اسوان ، إسماعيل فهمى وزير الخارجية ، عن رأيه فيما كتبه هيكل .. فأجاب بكلمة واحدة : Rubbish أى زبالة .. وقال إسماعيل فهمى لهيكل رغم أن صداقة عميقة تربطهما من زمن بعيد — ماذا تريد يا هيكل ؟ .. ولو كنت أنا مكان الرئيس ..



لازم تمشى . وأصدر الرئيس قرار بأبعاده عن (( الأهرام )) .. ولم يشأ كعادته أن يمتنه . فأعلن قرار بتعيينه مستشارا صحفيا للرئيس . وكان واضحا طبعا أن القصد فقط هو عدم الامتحان . وأختفى هيكل 9 أشهر كاملة واستعان بكل من رأى أنه قادر على التحدث مع الرئيس فى شأنه . وكان رد الرئيس إليه برسالة رسمية واضحة : - أعلم يا هيكل ، أننى أعلم أنك منذ اشتغلت معى ، وأنت مركز قوة . أنت والأهرام . ومع ذلك فقد تركتك تعمل ، على أمل أن تصحح نفسك . وبطول التجربة ، ثبت أنك تريد أن تحكم . وهذا لن يكون .

بعد 9 أشهر كاملة . وبعد أحاديث عديدة مع الرئيس ممن كان يوسطهم هيكل .. استدعاه الرئيس . وسأل هيكل عن صحة الرسالة الشفهية التى تلقاها ، وقال أنه سجلها كتابة . وقال الرئيس : نعم أنها رسالتى .. وقد تركتك هذه الأشهر التسعة ، لتأخذ فترة حساب مع نفسك .. وتعرف مفاتيح شخصيتى وأننى متفق مع عبد الناصر فى الأهداف . ولكن شخصيتى مختلفة . والعمل معى تبعا لذلك يختلف أسلوبه .. شئون الحكم لمن يتولون مناصب رسمية . ولن أسمح بمراكز القوى . وسأل هيكل : هل هناك مانع من أن أعود إلى الأهرام ؟ .. الرئيس لا مانع طبعا لأنه لا أحد يأخذ لى قراراتى . ولكن هذا يتوقف عليك . والأساس أولا وأخيرا هو الالتزام بأنين هذا الشعب ، لا السعى إلى سيطرة أو مجد ذاتى على حساب الحقائق والصالح العام .